أولا
معجم أكسفورد التاريخي : بحوث ونماذج

القواعد الأساسية في تأليف معجم لغوي تاريخي [1] المقتطف نوفمبر ١٩٤٥م

تألفت لجنة بمجمع فؤاد الأول للغة العربية سميت لجنة المعجم ، اجتمعت ونظرت في أنواع المعاجم التي تحتاج إليها اللغة العربية ، وبخاصة المعجم اللغوي التاريخي الذي يجمع شتات المفردات التي استعملت في اللغة منذ عصور الجاهلية إلى الآن ، وبيان المعاني التي تعاقبت على الألفاظ في الاستعمال اللغوي مرتبة بحسب العصور ، وإظهار المعاني الحقيقية من المعاني المجازية ، إلى غير ذلك من الأشياء التي تجعل ذلك المعجم سجلًا للغة وتاريخ ألفاظها ، وتطور معانيها ، والفصل بين الفصيح والمولد والمعرب والمنقول من اللغات الأخرى . وكان الأستاذ الدكتور أ . فيشر قد بدأ في كتابة معجمه اللغوي التاريخي الذي انتهى به إلى آخر القرن الثالث الهجري ، ونقل جزءًا من جزازاته إلى مصر ، ولا تزال محفوظة بدار المجمع ، فاتجهت النية إلى أن يعقب المجمع على عمل الأستاذ فيشر فيبدأ معجمه بالقرن الرابع الهجري إلى الآن . ولهذا الغرض كلفت بأن أضع تقريرًا عن الطريق التي تتبع ، والخطوات التي تتخذ للبدء في تأليف هذا المعجم ، فلم أجد طريقة أجدى من الرجوع إلى مقدمة معجم أكسفورد اللغوي التاريخي لاستخلص منها القواعد التي جرى عليها مؤلفوه والطرق التي اتبعوها ، فاستخلصت من تلك المقدمة تقريرًا قدمته للجنة المعجم في أوائل سنة ١٩٣٩م ثم استقلت من المجمع في صيف ذلك العام . وظل العمل في هذا المعجم العظيم ، الذي لا يجمع شتات لغتنا غيره ، واقفًا عند هذا . فإذا نشرت على صفحات المقتطف ما استخلصت من مقدمة معجم أكسفورد في هذا الظرف ، فإني إنما أفعل ذلك وكلي أمل في أن يُشَمِّر المجمع عن ساعده

---

(١) مستخلصة من مقدمة معجم أكسفورد الحديث للغة الإنجليزية ، ومقدمة إلى لجنة المعجم بمجمع فؤاد الأول للغة العربية .

ويرسل دعواه إلى العالم العربي كله ليؤيده في هذا الجهد الذي سوف يكون إذا تم ، سجلًا للغة وتاريخ مفرداتها وعاملًا يؤيد جامعة العرب . وعندي أن أعظم ما تخدم به جامعة العرب شيئان : معجم لغوي تاريخي ، ومَعْلَمَة كبرى ، أي دائرة معارف تجمع إلى العلوم والآداب الحديثة ، آداب العرب وتاريخهم . شيئان من أعظم مقومات الجنسية العربية . مصر ، بتأييد العرب ، أقدر الأمم العربية على الاضطلاع بهما .

إسماعيل مظهر(١)

بدأ العمل في معجم أكسفورد التاريخي الحديث في سنة ١٨٥٩م ، وتم طبعه في ١٩ من أبريل سنة ١٩٢٨م ، فكأن العمل فيه قد استغرق قرابة سبعين عامًا . ولم يشرف طبعه على التمام حتى كانت نسخه قد نفدت ، فأعيد طبعه ، وظهرت طبعته الثانية في سنة ١٩٣٣م فزيد إليها ملحق يكمل ما استدرك على الطبعة الأولى . ولقد نال القائمون بهذا العمل الفذ من التشاريف ، ما يجدر أن يصدر عن شعب يعرف قدر لغته ويعرف أن اللغة جزء لا يتجزأ من القومية . فقامت الأقاديميا البريطانية بصك مُدَلَّاة نقشت عليها صورة أول من قام على تحرير هذا المعجم من العلماء تخليدًا لذكراه ، وأضفيت الألقاب العلمية على كثير ممن تولوا العمل فيه ، وكان لهم في تحريره أثر رئيس .

وكان السبب الذي حدا علماء اللغة من الإنجليز إلى القول بضرورة تأليف معجم جديد على قواعد جديدة شعورهم بأن معاجم اللغة الإنجليزية ، منذ بداءة القرن السابع عشر ، كانت تقصر عن إدراك أغراض الأدباء وأهل العلم باللغة والفنون ، وأن الزمن كلما تقدم بالأدب الإنجليزي ازدادت المعاجم قصورًا عن إدراك أغراضه والقيام على حاجاته بما يحقق الغرض منها ، حتى لقد شبه معجم « كودري » Cawdrey الذي طبع في سنة ١٦٠٤م إلى جانب معجم أكسفورد الحديث بالبرة إذا قيست بشجرة البلوط العظيمة .

ولقد كان السبب الأول في عظم ما تجد من فرق بين تلك البرة الدنيئة وتلك الشجرة العظيمة ، دخول ثلاثة مبادئ جديدة في تأليف المعجمات الإنجليزية : فإن مؤلفي المعاجم كانوا قد عكفوا على الطريقة القديمة في جمع المفردات الغريبة التي

---

(١) عالم وأديب ولغوي ، أصدر مجلة (العصور) ، وهي مجلة علمية أدبية ، اختير عضوًا بالمجمع عام ١٩٦١م ، وتوفي عام ١٩٦٢م .

لا تعرض لعامة الناس ، على اعتبار أن ما بقي من الكلمات هي من البيان والتداول بحيث لا ينبغي أن تدخل في معجم اللغة الإنجليزية ، ولكن عدل عن هذه الطريقة في القرن السابع عشر ، وأخذت المعاجم تتسع لكثير من الألفاظ التي كان يُرى أن إثباتها غير ضروري . وفي القرن الثامن عشر ألف جامعو المعاجم طريقة إثبات جميع الألفاظ التي يمكن أن تتداول في اللغة .

أما الخطوة التالية لهذه فقد خطاها الأديب الكبير « جونسون » Johnson إذ عمد إلى إثبات الشواهد التي توضح التعريفات الموضوعة للألفاظ وتؤيدها ، ثم أعاد النظر في معجمه وأضاف إليه – في ملحق – كل الألفاظ التي كان قد أهملها ، وأثبتها بشواهدها . وأكمل هذا البناء العلامة اللغوي « رتشاردسون » Richardson بخطوة ثالثة هي التوضيح التاريخي للألفاظ ، واتباعًا لهذه الطرق وجب أن يكون المعجم الكامل للغة الإنجليزية ، كتابًا من أضخم الكتب العالمية ، ومن العجيب أن معجم « رتشاردسون » لم ينل ما يستحق من التفات العلماء ؛ وربما كان ذلك لنقص ما في طريقته . ولقد أمضي نحو أربعين سنة منذ أن ظهر الجزء الأول من معجمه في « المعلمة الجامعة » Fncyclopaedia Metropolitana قبل أن تقبل الجمعية اللغوية النظرية التاريخية في وضع المعجمات قبولًا تامًا ، وكذلك لم يؤثر طبع معجم « رتشاردسون » مستقبلًا عن تلك المعلمة في سنة ١٨٣٦م – ١٨٣٧م أي أثر في المعجميين (أي مؤلفي المعاجم) Lexicographers الذين ظلوا يتبعون نفس القواعد التي اتبعها « جونسون » في إنجلترا ، و« وبستر » في أمريكا . ومن العجيب أن تلك الثروة الهائلة من القواعد التي أتى بها « رتشاردسون » لم يُنتفع بها ، وظلت غير مستخدمة في أغراض اللغة ، في حين أنها كانت مستودعًا طبيعيًا خصبًا يمد كل من فتش في جوانبه بجواهر لغوية حديثة وقديمة ، وتضاف إلى ما جمعه « جونسون » وأتباعه .

كانت الخطوة التالية بعد تلك الأربعين من السنين التي مضت على ظهور معجم « رتشاردسون » حتى اقتنعت الجمعية اللغوية بضرورة اتباع المبدأ التاريخي في تأليف المعجمات ؛ أن عهدت الجمعية إلى لجنة مؤلفة من ثلاثة من أعضائها بأن يجمعوا الألفاظ الإنجليزية غير المسجلة في المعجمات ، وأن يقدموا بذلك تقريرًا عند انعقاد الجمعية في شهر نوفمبر من سنة ١٨٥٧م ، وكان السبب في ذلك أن الجمعية أرادت أن

تثبت في ملحق للمعاجم جميع الألفاظ التي أهملها « جونسون » و« رتشاردسون » .

غير أن هذه اللجنة لم تقدم تقريرها إذ ذاك . ولكن أحد أعضائها وهو الأسقف « ترنش » Trench قرأ جزءًا من كلمة ألفها في « بعض النقائص في المعجمات الإنجليزية » في الخامس من نوفمبر سنة ١٨٥٧م ، وأجل تقديم تقرير اللجنة إلى الثالث من شهر ديسمبر التالي . فأعطى هذا التأجيل فرصة طيبة للأسقف « ترنش » لكي يقرأ الجزء الباقي من كلمته على الجمعية في اليوم التاسع عشر من نوفمبر من تلك السنة ، فأصدرت الجمعية قرارًا على أثر سماعها تلك الكلمة (تضمن أنها طلبت من أسقف وستمنستر أن يطبع كلمته الثمينة المفيدة وأنه وافق على قرار اللجنة) فطبعت تحت العنوان الآتي :

On some deficiencies in our English Dictionaries Being the substance of two papers read before the philological society " Nov. 5 and Nov. 19, 1857. By Richard Chenevix Trench, D.D. Dean of Westminster.

ويقول كاتب المقدمة في معجم أكسفورد الحديث أنه بالرغم من مضي ثلاثة أرباع قرن (١٩٢٨م) على ما كتب الأسقف « ترنش » ، وبالرغم من تقدم البحوث والدراسات الإنجليزية في أثناء ذلك ، فإن ما ارتأى الأسقف « ترنش » من آراء ، لا يزال حافظًا لقيمته العلمية باعتباره أساسًا لما يجب أن يكون عليه المعجم الكامل للغة الإنجليزية . ثم قال حرفيًا : « ولا يقرأ أحد (ما كتب ترنش) حتى يدرك على أية صورة من الجلاء والبيان استطاع أن يستشف كل التفاصيل التي ألف على مقتضاها معجم الجمعية ، وكانت جميعها على التحقيق نتيجة للمذهب التاريخي الذي جعله الأساس الثابت المعقول لعمل المعجم » .

وقبل أن أنتقل إلى الكلام في شيء آخر ، آمل أن توصي لجنة المعجم بهذا المجمع الموقر بالحصول على هذا البحث الذي اتخذ أساسًا لوضع معجم أكسفورد الحديث ، لعلنا بدرسه نفيد من العلم ما لا يتيسر لنا بدراسة هذه المقدمة وحدها ، وأقترح الاتصال بالأستاذ « جب » بجامعة أكسفورد وتكليفه الحصول على نسخة منه وإرسالها إلينا .

في الثالث من شهر ديسمبر التأمت الجمعية اللغوية ، وقرئ عليها تقرير اللجنة التي عهد إليها البحث في « نقائص المعاجم الإنجليزية » فقررت حفظه واستعاضت

عن بحثه بأن قررت أنه سوف يعرض على الجمعية عما قريب مشروع كبير لتأليف معجم حديث كامل للغة الإنجليزية ؛ ذلك بأن بحث الأسقف « ترنش » كان قد اقنع الجمعية بما تضمن من آراء ومقترحات ، وأبان أنه لا معدى للجمعية عن القيام بتأليف معجم حديث ، إذا هي أرادت أن تكفي حاجة اللغة الإنجليزية .

ولم تضع الجمعية وقتًا في تنفيذ الفكرة الجديدة ، ولم تستخف بضخامة العمل التي هي مقدمة عليه ، ولا بعدد السنين التي تلزم لإكماله ، بل بالتي ينبغي أن تنفق قبل البدء به . وفي السابع من شهر يناير ١٨٥٨م أصدرت الجمعية القرارات الآتية .

١ - يُستعاض عن الملحق الذي أقرت الجمعية تأليفه تعقيبًا على المعاجم الإنجليزية المأثورة ، بتأليف معجم حديث للغة الإنجليزية بإشراف الجمعية اللغوية .

٢ - يُعهد بعمل المعجم إلى لجنتين : الأولى لجنة أدبية تاريخية : والثانية اشتقاقية ، وفي حالة الشك في حقيقة أية مادة ، يكون حكم اللجنة الأدبية التاريخية نهائيًا ومقبولاً (وكانت اللجنة الأولى مؤلفة من ثلاثة أعضاء والثانية من عضوين) .

٣ - تشكر الجمعية جميع الذين اشتركوا متطوعين للعمل مع « لجنة الألفاظ غير المسجلة » وتطلب مساعدتهم ومساعدة متطوعين آخرين للعمل الجديد . ويتلو ذلك ثلاثة قرارات إدارية لا حاجة لنا بذكرها هنا ؛ لأنها تتعلق بالطبع وتمويل المشروع بأموال الجمعية وغير ذلك .

ومما هو ثابت في القرار الثالث ، نجد أن - « لجنة الألفاظ غير المسجلة » ، كانت قد نجحت نجاحًا كبيرًا أثناء حياتها القصيرة ، في إذكاء روح الاهتمام بعمل اللجنة وفي تطوع مساعدين يعملون على تنفيذه . وأشار إلى ذلك الأسقف « تِرِنشْ » في بحثه الذي ألمعنا إليه ، فأثبت في نهايته كلمات تشجيع فقال : « وإني لأذكر أن ستة وسبعين متطوعًا قد انضموا فعلاً إلى اللجنة ، مطالبين بتعيين نصيبهم من العمل . وأن واحدًا وعشرين ومائة من المؤلفين الإنجليز قد وزعت مؤلفاتهم على هؤلاء المتطوعين ، وقد اختص في حالات عديدة متطوع منهم بكامل المؤلفات الصادرة عن مؤلف بعينه . وأزيد على ذلك أن واحدًا وثلاثين عملاً كاملاً قد وردت إلى اللجنة حتى الآن » - ثم يقول كاتب مقدمة معجم أكسفورد الحديث : « وبهذا وضع نظام القراء المتطوعين الذين لولا مساعدتهم الفعالة ، لما تم استجماع المادة اللازمة لتأليف معجم الجمعية اللغوية ، اللّهم إلّا بمبالغ طائلة من المال وأحقاب مديدة من

الزمن ، لو لم يوفرها المتطوعون لاستحال إنجاز العمل » .

ومضى زمن قبل أن أتيح للجمعية نشرُ تفاصيل عملها العظيم ، ففي سنة ١٨٥٩م نشرت مقترحات لنشر معجم إنجليزي حديث تقوم به الجمعية اللغوية . وقد يتضح من هذا المنشور مبلغ ما أنفق في تصميم هذا المعجم من الاستعماق في الدرس والتفكير ، واختتم بذكر الأسس التي سيقوم عليها المعجم ، وقد اكتفى كاتب المقدمة بذكر الأول والرابع منها باعتبارهما لب الموضوع ؛ وهما :

١ - أن الحاجة التي ينبغي أن تتوفر في أي معجم ، أن يتضمن كل كلمة استعملت في آداب اللغة التي يتناولها .

٢ - في معالجة كل لفظ بذاته ، يجب أن تتبع الطريقة التاريخية بغير استثناء .

ويتضمن المنشور عدا ذلك إرشادات للمتطوعين من جمّاعي الألفاظ بحسب ما اتفق عليه في اللجان الأدبية والتاريخية والاشتقاقية ، ثم تنظيمات آلية وعملية (تتبع في تدوين الألفاظ) ويتلو ذلك كله قوائم الكتب (أي المراجع) تدل كل قائمة منها على مقدار ما بذل في وضعها من جهد ومشقة . وقد نظمت كالآتي :

الأولي : قائمة بالمراجع الإنجليزية المطبوعة من سنة ١٢٥٠م إلى سنة ١٥٢٦م .

الثانية : قائمة بمراجع العصر الثاني ، أي من سنة ١٥٢٦م إلى سنة ١٦٧٤م .

الثالثة : قائمة بمراجع العصر الثالث ، أي من سنة ١٦٧٤م إلى سنة ١٨٥٨م .

ولقد روعي في اختيار هذا التقسيم حادثان تاريخيان ؛ الأول : طبع العهد الجديد (الأناجيل) بالإنجليزية في سنة ١٥٢٦م ، والثاني : وفاة الشاعر ملتن Milton في سنة ١٦٧٤م . ويرجع هذا الاختيار إلى « هنري كولردج » H.Coleridge ، غير أنه وقع أيضًا عن مصادفة ، أن هذين التاريخيين هما مبدأ الزيادة العظمى في مفردات اللغة الإنجليزية ، فأقرّا واتبعا في تبويب المؤلفات بحسبهما .

وبدأ عمل المتطوعين يثمر ويؤتي أكله ، ويزود اللجنة بمادة تعمل على بحثها وتحقيقها ، ففي شهر أبريل من سنة ١٨٥٩م نشرت الجمعية تقريرًا يتضمن أسئلة عن معالجة بعض المعضلات الاشتقاقية وكثير من العبارات الصعبة في الكتب الإنجليزية القديمة ، ووزعته على أعضاء الجمعية وعلى المراسلين العاملين في المعجم ، وطلبت منهم تأويلها . ولقد قام « كولردج » باستخلاص ما له قيمة علمية من الردود التي

تلقتها لجنة المعجم ، والتي رئي أنه من المفيد أن تطبع وتنشر ، وتَقدَّم بهذه الخلاصة إلى الجمعية اللغوية في بحث عنوانه : « محاولات لتبيان أصول بعض الكلمات الصعبة والعبارات الغامضة عند كتاب الإنجليز . وفي العاشر من شهر نوفمبر من تلك السنة نفسها قدم » كولردج ، وكان قد عُيِّن محررًا للمعجم ، تقريرًا عن « معجم الجمعية » المراد تأليفه ، فكان من نتائجه أن أصدرت الجمعية في الثامن من ديسمبر ثلاثة قرارات :

الأول : تأليف لجنة تضع قواعد يسترشد بها محرر المعجم .

الثاني : تأليف اللجنة من سبعة علماء لوضع هذه القواعد .

الثالث : الترخيص للجنة بطبع القواعد التي تضعها اللجنة ، وأن توزع نسخًا منها على أعضاء الجمعية . وأن تعين إحدى الليالي المخصصة لالتئام الجمعية ليناقش الأعضاء في تلك القواعد .

فأخذت اللجنة ، وبالحرى أخذ « كولردج » بالنيابة عنها ، توًّا في تحرير تلك القواعد ، ثم ناقشت فيها الجمعية متوسعة في بعضها مهذبة للبعض الآخر في جلسات عقدت في شهر ديسمبر من سنة ١٨٥٩م ، ويناير من سنة ١٨٦٠م ، ثم أعيد النظر فيها ونوقشت مرة أخرى في شهري أبريل ومايو من سنة ١٨٦٠م ، ثم طبعت نهائيًّا بعنوان : « قواعد معجمية لغوية : أو الأسس التي ينبغي أن تراعى في تحرير المعجم الإنجليزي الحديث الذي تصدره الجمعية اللغوية » وهذا عنوانه في الإنجليزية :

Canones Lexicographic, or rules to be observed in editing the new English Dictionary of the Philological Society.

وقبل أن أنتقل إلى الكلام في مسائل أخرى أقرر أنه ينبغي لنا الحصول على هذه القواعد المعجمية اللغوية – لعلنا نسترشد بأشياء فيها تساعدنا على وضع قواعد في تأليف معجمنا ربما غابت عنَّا ، وانتفع بها مؤلفو المعجم الإنجليزي ، ويمكن الحصول عليها إذا اتصلنا بالأستاذ « جب » بجامعة أكسفورد .

وكان العمل كلما تقدمت به السنون ، ازداد القائمون بأمر المعجم بصيرة بحقيقته وعظمته وضخامته . فإن محرره « هنرى كولردج » قد بدأ بتحرير جزء من حرف الألف في سنة ١٨٦١م ؛ ليكون مثالًا يحتذى في تحرير مواد المعجم . ولكن اتضح أن كل عمل من هذا القبيل ، إنما يكون سابقًا لأوانه حتى يتم جمع أكثر مواد

المعجم من المظان الأدبية واللغوية . وحتى بعد ذلك ، لا يمكن أن يكون تحرير المواد نهائيًا وكاملًا ، وإنما يكون تمهيدًا لتحريرها بحيث يضاف إلى كل مادة ما يعثر عليه في المظان من الاستعمالات في أثناء قراءة الكتب المعتمد عليها والمتخذة أصولًا لجمع مواد المعجم . ومن هذا يتضح لنا أن معجما لغويًا تاريخيًا إنما هو عمل موصول أوله بآخره . فقد يحتاج محرر المعجم إلى إضافة استعمال لكلمة في مؤلف ظهر في آخر عصور اللغة ، ولا يكون لهذا الاستعمال مثيل فيما تقدم من الأزمان .

وفي ١٢ من يوليو سنة ١٨٦١م ، جمع « فورنيوال » Furnivall ، المحرر الذي عمل في المعجم بعد « كولردج » ، الذي مات في تلك السنة وله من العمر إحدى وثلاثون سنة ، أسماء الكتب التي قرئت حتى ذلك التاريخ ، فوقعت في قائمة عدد صفحاتها أربعة وعشرون ، ومما جاء فيها يتضح أن عدد الكتب التي قرئت من العصر الأول كان ١٤٣ كتابًا ، ومن العصر الثاني ٤٨٦ كتابًا ، ومن العصر الثالث ٨١ كتابًا .

وكان « كولردج » قبيل وفاته قد بدأ يجمع الألفاظ في قوائم سميت « أصول المقارنة » ؛ إذ بها يتضح مقدار العمل اللازم لكل حرف من حروف المعجم على حدةٍ ، وما ينبغي أن يبذل في سبيل تحريره من كدٍّ ونصب ، حتى إذا أريد بعد ذلك توزيع الحروف المختلفة على عدد من المحررين ، أمكن توزيعها بحيث يتوازى عمل كل منهم على وجه التقريب . وكان يذكر في هذه القوائم التي سميت « أصول المقارنة » عدد الجزازات الخاصة بكل مادة بذاتها مع معرفة الشواهد المفرغة في تلك الجزازات وما هو متفق منها ، وما هو مختلف .

وفي أوائل سنة ١٨٦٢م تقدم « فورنيوال » محرر المعجم بمقترحات إلى الجمعية اللغوية قبلت برمتها وهذه هي :

١ - تأليف معجم صغير يكون تمهيدًا للمعجم الكبير ، ويُتخذ العمل فيه أصلًا جديدًا من أصول الموازنة يتناول كل العصور التي سيؤرخها المعجم الأعظم .

٢ - أن يكون المعجم الصغير مختصرًا للمعجم الكبير وأن يتناول النواحي النطقية والانتقادية والاشتقاقية وأصول الكلمات والبوادئ والكواسع Prefixes and Suffixes والتعريفات وما في بعض الكلمات من الجناس ، وأن يذكر مع كل مادة شاهد أو شواهد لا يتجاوز الواحد منها بضع كلمات مع ذكر التاريخ والمؤلف المأخوذ عنه

الشاهد . وذلك من المادة المستجمعة حتى ذلك التاريخ . فإذا كان ما جمع لم يذكر شواهد بعض المواد استعين على ذلك ببعض المصادر الوثيقة التي تكون في متناول المحرر ، وأضيف إليها كل الأمثال والمعاني التي يحتاج إليها .

٣ – أن يعهد المحرر حسب اختياره بالشواهد المستجمعة عنده إلى بعض المراسلين أو إلى بعض المتطوعين ، وأن يختار من يثق بهم ليكونوا معاونين له في تحرير هذا المعجم المختصر . وكانت الفكرة الأساسية في تأليف هذا المعجم المختصر ، هو التمهيد للمعجم الكبير ومرانة على العمل فيه .

في سنة ١٨٧٩م تولى « جيمس موري » James Murray تحرير المعجم . وكانت الجزازات المستجمعة من المظان المقروءة قد ازدادت وضخمت وأصبح من الضروري تنظيمها بحيث يمكن الاستفادة منها استفادة عاجلة عند الحاجة ، فمضى ينظمها ، وكوّن لها أماكن خاصة تتسع للجزازات مبوّبة تبويبًا أبجديًّا ، وأنشأ لذلك مكتبًا Scriptorioum جمع إلى قماطر الجزازات موائد للتحرير ، وأخرى للمراجعة ، وعكف على تنظيم هذا العمل العظيم تنظيمًا يحقق الانتفاع بالمادة المجموعة ، مع الاقتصاد في الوقت قدر المستطاع .

وحتى عند بلوغ هذه المرحلة شعر القائمون على المعجم بأنهم في حاجة إلى قراء متطوعين فطبعت دعوة إلى العالم الإنجليزي في شهر أبريل سنة ١٨٧٩م بطلب المساعدة لإتمام « المعجم الإنجليزي الحديث » وسرعان ما تقدم إلى الجمعية ألف قارئ جدد ، وأخذ جمع المادة اللغوية بعد ذلك يسير بخطوات سريعة محققة النتائج .

ولقد اتبع في جمع مادة هذا المعجم طريقة نظمت على أساس عملي قام بتنفيذها المتطوعون ومساعدو التحرير ، وكان من البين بديًّا أن أول خطوة في سبيل تأليف معجم جديد للغة الإنجليزية هي استجماع شواهد وثيقة من الأدب الإنجليزي في خلال عصور اللغة المختلفة . وكان « جونسون » و « ريتشاردسون » قد انتقيا من المادة التي استجمعاها ، ومن الظاهر أن هذا الانتقاء ينبغي أن يكون له حدود عملية يسير بمقتضاها ، بصرف النظر عن سعة المادة التي ينتقى منها ، وفي هذه الحالة كان الإشراف على ما ينتقى من الشواهد أمرًا غير يسير . وكان الضمان الوحيد لعلاج هذه الصعوبة هي أن يكون من عناية القرّاء وقوة تمييزهم وسمو ذوقهم الأدبي ، ما يمكن أن يسد نقائص الآخرين .

ومن الإرشادات التي نشرت في سنة ١٨٥٨م وسنة ١٨٧٩م أمكن الوصول إلى انتساق في الأسلوب الذي يتبع في عرض الشواهد . فكل شاهد يكتب في جزازة هي عبارة عن ربع فرخ من الورق (ما عدا القرّاء الذين كانوا يستعملون ورقًا من عندهم ، فهؤلاء كانوا يكتبون على جزازات حيثما اتفق نوعها وسعتها) ، ولا تكون الجزازة كاملة إلّا باستكمال ثلاثة وجوه ؛ (الأول) : الكلمة المنتقاة وتكتب في الركن الأيسر العلوي من الجزازة (الثاني) : التاريخ والمؤلف والعنوان والصحيفة ، وغير ذلك من البيانات الخاصة بالكتاب المأخوذ منه (الثالث) : الشاهد نفسه ، إما كاملًا وإما مختصرًا : بطريقة لا تعييه فكانت الجزازة الكاملة مثلها كالآتي :

Britisher

1883, Freeman Impressions U.S. iv. 29. I always told my American friends that I had rather be called Britisher than an Englishman, if by calling me an Englishman they want to imply that they are not Englishmen themselves .

ومن أجل أن يسهل على القارئ تحرير الجزازة من غير أن يضطر إلى تكرار البيانات المذكورة في الوجه الثاني ، أي التاريخ والمؤلف والعنوان والصحيفة ... إلخ ، طُبعت هذه الأشياء على الجزازات ، وما على القارئ إلا أن يملأ فراغها مع نقل بعض الشواهد فقط ، ومع ملاحظة تقدير العدد اللازم من الجزازات لكل كتاب على ضوء حاجة العمل في كتب تماثله . كما أنه استعيض عن الطبع بطوابع توضع على كل جزازة وعليها البيانات اللازمة .

والطريقة التي أراها ناجحة في تذليل هذه الصعوبة هي أن نعمد إلى الأرقام فهي أسهل وأسرع ، فيطبع على الجزازة الكلمات الآتية وتملأ بأرقام كالآتي :

الكلمة	الكتاب	الفصل	التاريخ[1]	الصحيفة	السطر	الطبعة
أخذ	٣١٥	٢	س٣٢٠ ق٢	٢٢٠	١٢	مصر ١٩٤٠

والأرقام المعينة للمراجع تفرغ في قوائم يرجع إليها عند تحرير المادة .

وقد طلب في الإرشادات التي وزعت على القارئين مراعاة الأسس الآتية : (وكان ذلك فيما نشر سنة ١٨٧٩م) .

---

(١) س = سنة ، ق = قرن .

١ - ذكر شاهد لكلمة ترى أنها نادرة الاستعمال أو مهجورة أو قديمة المعنى أو خاصة أو استعملت بمعنًى خاص .

٢ - يُلتفت التفاتًا خاصًا للعبارات التي تظهر أو تتضمن الدلالة على أن اللفظ جديد ومستعمل ، أو أنه في حاجة إلى بيان أنه مهجور أو عهيد ، وبذلك يمكن تعيين تاريخ استعماله أو إغفاله .

٣ - ذكر عدد الشواهد بقدر المستطاع للكلمات العادية . وبخاصة عندما تستعمل لدلالة خاصة ، والرجوع إلى القرينة لتوضيح معناها أو ذكر ما يساعد على ذلك من الفُروض ومن الظاهر أن هذه القواعد تختلف درجات السهولة في تطبيقها باختلاف الكتب ، وأن مهمة بعض القراء قد يتفق أن تكون أكثر صعوبة وأوسع مدى من مهمة البعض الآخر ، حتى إذا تناول كل منهم كتبًا تتساوى من حيث الضخامة ، وكذلك كمية العمل والإنتاج ، فإنها تختلف اختلافًا كبيرًا . وفي كلا العهدين اللذين مرَّ بهما تأليف المعجم ، كان من بين القراء من هم المثلُ الأعلى في الإنتاج ، وقد تركوا في كل صفحة من صفحات المعجم أثرًا يمكن أن يلمسه كل من له خبرة خاصة بذلك . فهؤلاء من ناحية ، مع جيش عظيم من القراء الذين هم أقل منهم إنتاجًا وإتقانًا في العمل من ناحية أخرى ، استطاعوا أن يضخموا كمية الجزازات حتى ضاقت بها الأماكن التي خصصت لها في المكتب العظيم الذي أسسه الأستاذ « موري » . ومما يدلك على مقدار السرعة التي ازداد بها عدد الجزازات في العصر الذي بلغ فيه إنتاجها أعظم مبالغة ، عبارات نشرت ضمن تقرير تناول سير العمل جاء فيه :

في شهر مايو من سنة ١٨٧٩م ، تقدم إلى الجمعية ، تلبية للنداء التي نشرته في أواخر أبريل من السنة نفسها ١٦٥ قارئًا ، منهم ١٢٨ اختاروا الكتب التي يقرؤونها بأنفسهم ، فزُوِّدوا بالجزازات ، وهم عاكفون الآن على العمل . أما عدد الكتب التي وزعت فبلغ ٢٣٤ كتابًا .

وبعد مضي سنة على نشر هذا التقرير (١٨٨٠) ، بلغ عدد القراء ٧٥٤ عكفوا على قراءة ١٥٦٨ كتاب ، انتهى العمل في ٩٢٤ منها ، كما بلغ عدد الجزازات المطبوعة التي وزعت عليهم ٦٢٥,٠٣٥ ، انتفع منها بما لا يقل عن ٣٦١,٦٧٠ شاهد لغوي تاريخي . ومن هؤلاء القراء امتاز عدد بضخامة الإنتاج فتراوح ما أرسل منهم بين ٤٥٠٠ ,١١,٠٠٠ جزازة . وبمضي سنة أخرى ، أي في سنة ١٨٨١م

بلغ عدد القراء ٨٠٠ منهم ٥١٠ لا يزالون يعملون في جمع الشواهد ، وبلغ عدد الجزازات في تلك السنة ٨١٧,٦٢٥ والشواهد المنتفع بها ٦٥٦,٩٠٠ وبلغ عدد المؤلفين الذين جمعت مؤلفاتهم ليرجع إليها ٢٧٠٠ ، بلغ عدد عناوين الكتب ٤٥٠٠ .

أما تفاصيل هذا النشاط العظيم فقد أشير إليها في مقدمة الجزء الأول من المعجم ، كما أن قائمة كاملة تضمنت أسماء القراء ، والكتب التي قرؤوها في المدة الواقعة بين سنة ١٨٧٩م و١٨٨٤م مع ذكر عدد الشواهد التي استخلصها كل منهم ، قد ألحقت بخطاب الرئاسة الذي سمعته الجمعية اللغوية في سنة ١٨٨٤م . فإذا نظرت في هذه القائمة اتضح أن الاهتمام بشأن هذا المعجم في الولايات المتحدة قد ازداد بمر الزمن واحتفظ بطابعه . حتى لقد أشار مستر « موري » في خطاب الرياسة سنة ١٨٨٠م إلى ما كان من غيرة أهل الولايات المتحدة على العمل والنتائج التي أخرجوها فقال :

أما من حيث قراءة المراجع ، فإني لا أستطيع أن أقوم بواجب التقدير لما أبدى أصدقاؤنا في الولايات المتحدة من غيرة وعطف . فإن غيرتهم الصادرة عن حب صحيح للغتنا المشتركة وتاريخها ، والرغبة الكبيرة في إخراج معجم جدير بهذه اللغة ، جُمّاع ذلك قد ترك في نفسي أثرًا عميقًا لا يزول .

وإني لا أتردد في القول بأني قد آنست في الأمريكيين حبًا مثاليًا للغة الإنجليزية باعتبارها ميراثًا عظيمًا ورثناه عن أوائلنا ، وفخارًا بأن لهم صلة بذكرياتها المجيدة ، أشبه بذلك الفخار الذي يتيه به بحاثة فذ من اتصاله بآداب الإغريق الأقدمين . آنست ذلك فيهم بقدر ما آنست من ندرة تلك المشاعر بين الإنجليز نحو لغتهم . ومن هنا استنتج معتمدًا على قرائن عديدة ، أن الأمريكيين سيكون لهم القيادة العليا في البحوث الإنجليزية بعد مضي زمن ليس ببعيد .

ولا يقل عمل الذين تطوعوا في مساعدة التحرير شأنًا عن عمل القراء . ولو لم يقم هؤلاء بعمل سوى تصنيف ٣,٥٠٠,٠٠٠ جزازة من جزازات المعجم ، لكان في هذا العمل وحده من اقتصاد في الوقت والمال ، ما لا تقدر له قيمة حقيقية . ولكن الواقع يشهد بأنهم اشتركوا اشتراكًا فعليًا في تنسيق تحرير المعجم تنسيقًا ظهرت آثاره السريعة في إنجاز الجزء الأعظم من صفحاته .

واستمر العمل في المعجم بنشاط كبير حتى إن « هنري كولردج » قد تصور أنه من الممكن أن يخرج الجزء الأول من المعجم بعد سنتين من بدء العمل فيه ، أي حوالي

أوائل سنة ١٨٦٢م ، وقال : إنه لولا تواني بعض القراء لاستطاع أن يعين لاخراج الجزء الأول ميعادًا أقرب من هذا . ولكن الواقع أن بدء تكوين المواد الأولى من حرف الألف لم يبدأ إلَّا في سنة ١٨٨٢م ، وأُخذ العمل في المعجم يتم على النمط الآتي :

AB-1882-88

C-1888-93

D-1893-7

E-1888-93

F-1893-97

G-1897-1900

H-1897-99

والسبب في تداخل السنين في تحرير هذه الحروف أنه كان قد عهد إلى لجان مختلفة بتحرير مواد حروف بعينها

ومن أهم ما يلاحظ في تأليف المعجم قول كاتب المقدمة أن العمل الذي قام به المساعدون الرسميون كان له الأثر الرئيسي في جميع الأدوار التي قطعها القائمون بأمر المعجم بعد تنظيم العمل بالاعتماد عليهم ، فكان من نتيجة ذلك توالي الخطوات على النسبة الآتية :

IJK-1899-1901	L-1901-03	O-1902
O-1902-1904	M-1904-08	R-Re-1903-07
P-1904-06	S-SH-1908 14	N-1906-07 T
-T-1909-15	ST-1914-19	Re-Ry-1907-10
Wh-WO-1922-27	W-We-1920-23	Si-sq-1910-20
SU-SZ-1914-19	V-1916-20	
XYZ-1920-21	U-1921-26	
Wo-Wy-1927		

وظهر المعجم مطبوعًا أول مرة في سنة ١٩٢٨م .

إيضاحات عامة :

من الإيضاحات العامة التي ذكرت في مقدمة معجم أكسفورد الحديث ما يمكن الانتفاع به ؛ لأنه يتناول جهات عامة يستطاع تطبيقها على كل الحالات ، ومنها ما لا يمكن الانتفاع به ؛ لأنه يتعلق بخصائص اللغة الإنجليزية التي لا يشاركها فيها